العرب
الخميس 2020/09/17
السنة 43 العدد 11823

العطر له أسراره في الشرق

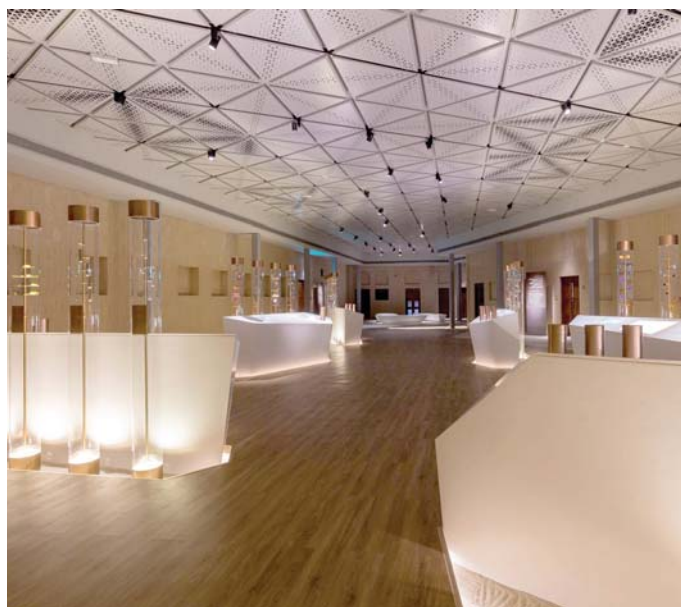

فضاء الطيب يوحّد بين الأصالة والمعاصرة

رائحة المسك توغل بالحواس عبر التاريخ

بيت العطور في دبي يسرد تاريخ التطيب عند العرب

المتحف يعرض نفائسه افتراضيا خلال جائحة كورونا

للعطر أو التطيّب تاريخه في الثقافة العربية، حيث ارتبط بتقاليد لدى النساء والرجال وثّقها متحف بيت العطر في دبي بالمباخر وقوارير العطور المعتقة من أصناف العنبر والعود والورود وأساليب خلطات الطيب التي كانت تستعمل عند الإماراتيين والعرب بعضها مازالت له مكانة في البيت العربي.

دبي – في "بيت العطور" في متحف الشندغة بدبي يتوه الزائر بين المباخر وقوارير العطور المعتقة من العنبر والعود والورود ليسافر بحواسه وخياله إلى الروائح التي تجمع العالم في مكان واحد، وأبجدية تسرد تفاصيل ماض العطر وتقاليد صناعته العريقة.

ويعتبر العطر جزءا لا يتجزأ من الثقافة المحلية وعنصرا بارزا من تقاليد الضيافة لاسيما وأن استخدام الإماراتيين للعطور نابع من قيم متجذرة في موروثهم الإسلامي وتراثهم الثقافي التاريخي.

ويتكون متحف بيت العطور من غرف واسعة ومتداخلة في ما بينها، وتحكي كل واحدة مرحلة من تاريخ العطور في الإمارات، لتنتهي الرحلة في غرف الورش والتدريب المتخصصة في صناعة العطور والدخون.

تقليديا، كانت أنواع مختلفة من العطور تستخدم بصفة يومية، إذ كانت قوارير العطور توضع الواحدة تلو الأخرى بعناية وبطريقة تعكس الهوية الشخصية لمستخدميها حيث قامت العائلات الإماراتية بالإبقاء على أساليب استخدام العطور ونقلتها من جيل إلى آخر.

ويسلط "بيت العطور" الضوء على المكونات الطبيعية المختلفة التي استخدمت في خلطات العطر الإماراتي، كما يوفر مادة نظرية للتعرف إلى الدور المهم الذي تضطلع به الروائح التقليدية وأساليب التطيّب في الثقافة الإماراتية وكيفية ارتباطها بالماضي.

يقول راشد بطي المهيري، وهو مرشد ثقافي رئيسي في المتحف، إن المبنى يمتاز بالتفاصيل التراثية القديمة، مع لمسات عصرية طوّعت التكنولوجيا في تقديم فكرة كاملة عن أبرز العطور ومكوناتها المحلية ومصادرها، فيما يتم عرض العطور بطريقة مبتكرة تناسب الصغار والكبار، عبر تقنيات خاصة توصل المعلومة بسهولة، وتأخذ الزوار إلى زمن مضى ويلتقون من خلاله بعدد كبير من المقتنيات الأثرية التاريخية.

وأضاف المهيري أن متحف بيت العطور هو الأول في المنطقة الذي يختص في العطور العربية الإماراتية، والتي كانت تستخدمها الأمهات قديما، ولا تزال إلى اليوم تصنع في البيوت عن طريق خلط بعض المواد الأساسية كالعود والعنبر والمسك.

وقال "إلى جانب استخدامها تجميليا، فإن العطور الإماراتية لها استخدامات أخرى عديدة جعلتها أمرا لا غنى عنه في حياة الإماراتيين، وبما أن العطور كانت تصنع من المكونات الطبيعية وبجودة عالية، فقد كان الإماراتيون يستخدمونها لأغراض عدة مثل التعبير عن الفرح في المناسبات الاجتماعية المهمة، أو كوسيلة للشعور بالراحة والرفاهية أو حتى للمحافظة على الإحساس بالانتعاش والبرودة من حر الصحراء، والصور المعروضة في المتحف تعرض لقطات من الحياة اليومية الإماراتية خلال أواسط القرن العشرين، وتسلط الضوء على الاستخدامات المتنوعة للعطور في الإمارات".

ويحتوي المتحف على آثار تدل على قدم صناعة العطور العربية والرحلات والطرق التي كان يسلكها التجار قديما في تجارة العطور.

يحتوي المتحف على مدخن تم اكتشافه في منطقة الساروق الحديد في دبي ويعود إلى 3000 سنة مما يدل على قدم هذه الصناعة، كما يحتوي على قطعة عود وزنها 28 كيلوغراما، ويبلغ طولها 1.2 متر.

وينفرد العود من بين المكونات العطرية العديدة، لكونه الأكثر أهمية في العطور الإماراتية التقليدية، ويستمد العود رائحته المميزة من صمغ تفرزه الشجرة عندما تصاب بعدوى تسببها بعض الفطريات، والمادة العطرية هي نتيجة رد فعل دفاعي تقوم به الشجرة لمعالجة الضرر الذي أصابها.

ويتميز العود برائحة عطرية يصعب تشبيهها أو مقارنتها بأي روائح طبيعية أخرى، ليس ذلك فحسب، بل أيضا تختلف الرائحة من قطعة إلى أخرى، وذلك وفقا لمدى تركّز العود فيها. كما تتباين الرائحة العطرية حسب عمر شجرة الأكويلاريا والتربة التي تنمو فيها والفصيلة التي تنتمي إليها.

> المتحف يتكون من غرف تحكي كل واحدة مرحلة من تاريخ العطور مع غرف الورش والتدريب المتخصصة لصناعة الطيب

وتأتي أهمية المتحف لتعريف الزوار بالجانب الخفي في حياة ربات البيوت قديما والحفاظ على الإرث من الاندثار وتعليم أبنائنا تاريخ الإمارات والدور الذي كانت تقوم به السيدات خاصة في هذه الصناعة.

ويرتبط فن خلط العطور واستخدامه بالثقافة الإماراتية المتوارثة من جيل إلى آخر، شفويا وبالممارسة، فيما كان للشعر الإماراتي الوجداني دور مهم في وصف العطور التقليدية منذ زمن بعيد.

ويعود استخدام الإماراتيين للعطور إلى قيم متجذرة في موروثهم الإسلامي وتراثهم الثقافي التاريخي. ففي الماضي، عند استقبال ضيف جاء بعد رحلة طويلة، كان أصحاب البيت يقدمون له عطرا مألوفا يشعره بأنه محل ترحيب واليوم أصبح العطر رمزا للكرم والاحترام المتبادل، فهو يعتبر ركنا أساسيا في مختلف المناسبات والتقاليد الاجتماعية، وما زال كل بيت إماراتي يستقبل ضيوفه بروائح عطرية مستمدة من تاريخ عريق، تتواصل ذكرى عبيرها الفواح على مر الزمن.

ويحتوي المتحف على غرفة مخصصة للتعريف بكيفية صنع العطور، ويمكن للزوار صنع خلطات بأنفسهم، فخلط العطور الإماراتية التقليدية هي عملية معقدة تتطلب دقة وعناية في جميع مراحلها، بدءا من اختيار المكونات وانتهاء بأساليب التعامل معها.

وتتمحور العطور التقليدية الإماراتية حول ثلاث وصفات رئيسية، فهناك أولا "الدخون" الذي تضاف إليه دهون عطرية يتم اختيارها وفقا لوصفات عائلية تحاط بالسرية والكتمان، أما الوصفة الثانية فهي "المخمرية" التي تُحضر من أفخر المكونات لتستخدم في المناسبات، وتحمل الوصفة الثالثة تسمية "البضاعة" وهي مسحوق عطري يتطلب خلطه اتباع أسلوب فريد من نوعه.

وخلال جائحة كورونا واصل المتحف عمله من خلال جولات افتراضية، ويتنوع زوار المتحف إذ يأتي في مقدمتهم العطارون من مختلف بلاد العالم للتعرف على وصفات إماراتية تقليدية، ما زال بعضها مستخدما إلى يومنا الحاضر.

صائدو الذهب النازي المخفي يتوهون في جبال الألب

كيمبتن (ألمانيا) – التصميم والإصرار هما على الأقل من سمات أي شخص يفكر في اقتحام هذا المخزن الكائن بولاية بافاريا، حتى لو كان لا يعلم تاريخه.

والمخزن الكائن في قرية بفرونتن تعرض للاقتحام عدة مرات خلال بضعة أسابيع من جانب المغامرين الذين يبحثون عن ذهب النازي المخفي.

ويقول هيوبرت هاف "إنهم نقلوا كل الموجودات بالمخزن جانبا، ومزقوا أرضيته وأخذوا يحفرون، ولكنهم لم يجدوا سوى الصخور أسفل التربة، وهذا المخزن بني عام 1975 فقط".

وأمضى هاف (82 عاما) حياته كلها في بفرونتن التي تتاخم النمسا، وأدار متجرا للبقالة في هذه القرية لمدة 30 عاما، وتجتذب بفرونتن الكثير من السياح الراغبين في زيارة أطلال قلعة فولكنشتاين، كما تجتذب الباحثين عن الذهب الذين يأملون في العثور على كنز أخفاه النازي في المنطقة.

وكانت آخر محاولة للعثور على مثل هذه الكنوز التي تروج لها الشائعات، قد أدت إلى قيام أشخاص مجهولين بدفع آلة حفر داخل إحدى الغابات والحفر على مسافة عميقة، وظلت أعمال الحفر مستمرة إلى أن ظهر نذر وقوع كارثة.

وهرب المنقبون تاركين خلفهم الحفار وكومة من التراب. ويعلق على هذا الحدث ريتشارد نويس عضو مجلس القرية بقوله "إنه من المرجح أن تصل تكلفة إزالة بقايا الحفر إلى عدة آلاف يورو".

واستمرت شائعة وجود ذهب مخفي للنازي تحت أطلال القلعة تتردد لعقود، حتى على الرغم من أنه لم يعثر أي شخص على أي شيء.

وتردد إحدى الروايات حول الذهب المخفي في قلعة فولكنشتاين أن الشرطة السرية للنازي المعروفة باسم (إس.إس) أغلقت الموقع خلال الفترة من أكتوبر 1944 إلى مارس 1945، وتقول رواية أخرى إنه تم جلب الذهب من ميونخ إلى كيمبتن في أوائل عام 1945 حيث انتهى به الحال في هذه البلدة.

كما ارتبطت الأساطير الدائرة حول الذهب المخفي بالملك لودفيغ الثاني، الذي اشترى قلعة فولكنشتاين المنهارة عام 1883 لتشييد قلعة خرافية تكون منتجعا له في نفس المكان تماثل قلعة نيوشوانشتاين، وتردد الشائعات أن الملك جلب الذهب من الخزائن الملكية داخل عربة تجرها الجياد ليضعه داخل القلعة.

وفي هذا الصدد يقول نويس "ليست هناك في الحقيقة أي دلائل ملموسة أو أي شيء يشير بشكل موثوق به إلى وجود مثل هذا الكنز". غير أن مثل هذه الأقوال لم توقف أحدا عن تطلعاته بالعثور على الكنز.

الطمع بالثروة.. وهم يفني العمر

وثمة موقع آخر يجذب باستمرار صائدي الكنوز بالجنوب الألماني، وهو بحيرة ألتاسي بالقرب من قلعة نيوشوانشتاين، ويعلق ماغنوس بيرسون رئيس جمعية حماية التراث المحلية "ألت فيوسن" بقوله "لا توجد أي بحيرة في جميع أنحاء ألمانيا تعرضت لمثل هذا الكم من الأكاذيب".

ويصر البعض على أن ذهب عائلة روتشيلد يمكن أن يكون مخفيا هناك، ويرجع ذلك جزئيا إلى أن بحيرة ألتاسي كانت منطقة محظورة خلال الفترة من 1938 إلى 1958، أولا بسبب أن النازي أجرى فيها اختبارات، ثم في فترة لاحقة فرض الحلفاء حصارا على المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

والشيء الوحيد الذي تم العثور عليه في بحيرة ألتاسي حتى الآن هو كميات من الذخائر.

والسبب، وفقا لما يقوله ألكسندر بيك سكرتير جمعية صيد الأسماك بمنطقة فيوسن، هو أن بحيرات الجبال العميقة كانت مكانا جيدا لإخفاء الأسلحة.

ويؤكد يورغن جيسنفلدر وهو غطاس مسعف وخبير بأعماق بحيرة ألتاسي أنه "لا يوجد أي شيء آخر في المكان".

ولا ترجع شعبية ولاية بافاريا بين الباحثين عن الكنوز بسبب الشائعات التي تتردد حول وجود ذهب النازي والملك لودفيج الثاني فحسب، ولكن أيضا لأن القوانين المختلفة فيها عن تلك السائدة في باقي الولايات الألمانية، تجعل أولئك المنقبين يستفيدون فيها أكثر من أي مكان آخر بألمانيا.

وعادة ما تؤول ملكية أي كنز يستخرجه المنقبون، ويثبت أن له قيمة تاريخية إلى الولاية التي تم العثور عليه فيها.

> شائعة وجود ذهب مخفي للنازيين استمرت بالتردد لعقود على الرغم من أنه لم يعثر أي شخص على أي شيء

غير أن ولاية بافاريا تسمح بأن يحصل مكتشف الكنز على نصفه، بينما يؤول النصف الآخر إلى صاحب الأرض التي تم العثور على الكنز فيها.

ومع ذلك، ووفقا لما تقوله متحدثة باسم مكتب الحفاظ على الآثار بولاية بافاريا، فلو تم العثور على كنز بشكل غير قانوني تستولي الولاية على حصة المنقب، ولكن حتى لو كان سارق قد أدين بتهمة السلب فإنه يستطيع أن يحتفظ بنصف الثروة التي عثر عليها، ومنذ بضع سنوات فشلت المحاولات لتغيير هذا القانون، حتى على الرغم من أن السلطات تتلقى عدة مئات من البلاغات عن أعمال النهب كل عام.